من طبقة « اليونكرز » في بروسيا طائفة متميزة تماما ، تحولت الى طبقة عسكرية محترفة ، وجيش حاكم يحتقر غيره من الطبقات · وقد عزز بسمارك من دور العسكرية البروسية وسيطرتها على المانيا بانتصاراته المدوية ، والامبراطورية التي اقامها على اكتاف هذه الفئات ، كما كسب لها تأييد الاقسام العليا من البورجوازية الالمانية ، وحتى جزء كبير من الطبقة الوسطى البروتستانتية · ولا شك ان افكار تفوق الجنس النورديكي والعنصر الجرماني ، والتي اشاعتها هذه الفئات المسيطرة والقابضة كانت موجهة في حقيقتها ضد الطبقات الشعبية الالمانية اكثر مما كانت ضد الامم الاخرى او اليهود (١٩) فدعاة العنصرية الالمانية القدامى من امثال ج· كليم واوتوامون كان شغلهم الشاغل اثبات دونية الطبقات الشعبية ، وانها احط في اصولها من الطبقات الحاكمة واصبحت الطبقات العليا في مذهبهم آرية من حيث المنبت ، أما الدنيا فهي منغولية ، وذلك لتبرير السيطرة الفاشية للنبالة والطبقات العليا ·

وكان للوثر بوجه خاص اثره العميق في الروح الالمانية والاخلاق ، فقد استمد تعاليمه الاخلاقية والاجتماعية الى حد كبير من « العهد القديم » وان كان ذلك لم يمنعه من اثارة الالمان ضد اليهود ·

ومن اليسير ان نقارن بين اقوال لوثر واقوال المسيح ، لنرى البون الشاسع بينها ، الى الحد الذي يستحيل معه التوفيق ، ومع ذلك فقد كان لوثر يعتقد باخلاص انه ينطق بأمر الله ، كما فعل عندما وضع مسؤولية مذبحة الفلاحين في حرب الفلاحين على الله ! والكثير من السمات المسيطرة والشائعة في الروح الالمانية مثل تفضيل التصوف على العقل ، وتمجيد البطولة والاعتقاد بانهم يعملون بوحي من الله ، وهم يتصرفون كالشيطان ، يمكن تتبعها في شخصية لوثر ، وان كانت العوامل التاريخية والطبقية هي التي حددت نموها وتأصلها وحتى « سوبرمان » نيتشه يمكن ان يعد من سلالته الشرعية · وقد كان العنصر الصوفي في ايمان لوثر بعيد الاثر في نمو الفلسفة والشعر والموسيقى الالمانية· وقد مهد السبيل بصفة خاصة للرومانسية وعبادة الكون اللذين الهما الكثير من الشعراء والفنانين العظام · ولكنه لعب دورا كبيرا في تحطيم المعايير المسيحية في المانيا الحديثة · والواقع ان هيجل وبسمارك ونيتشه وفاجنر حملوا تقاليد اللوثرية (٢٠) ، ويفسر انجلز اتجاهات لوثر ومواقفه المعادية للعوام بقوله انه بين سنة ١٥١٧ وسنة ١٥٢٥ اثناء حرب الفلاحين حدث للوثرمن التحولات ، ما حدث لدعاة الدستور الالمان او الليبرالية الالمانية بين سنة ١٨٤٦) ١٨٤٨ وما يحدث لكل بورجوازي يجد نفسه لفترة من الزمن على رأس الحركة الثورية ، ولا يلبث حتى تفزعه حركة العوام او البروليتاريا وتدفعه الى النكوص على عقبيه · واذا كان لوثر قد وضع سلاحا قويا في يد العوام بترجمته للانجيل ، وبمعارضته للمسيحية الاقطاعية ، الا انه لم يلبث حتى سدد نفس السلاح الى صدور الفلاحين